

الشيخ العلامة البيهاني .. نشأة وثقافة ودعوة

خليل سلام الحكيمي

ولد الشيخ/ محمد بن سالم البيهاني في مدينة القصاب في بيحان وأخذ علومه الشرعية ابتداءً على يد والده الفلكي سالم بن حسين الكدادي. وشاء الله لهذا الشيخ الجليل أن يصاب بالعمى وهو في عمر الخامسة، ومع ذلك واصل دراسته مع والديه وحفظ القرآن الكريم، ثم ارتحل لطلب العلم مع أخوين له كبيرين إلى حضرموت مدينة تريم فدرس هناك ما شاء الله من العلوم ومكث فيها ما يقارب خمس سنوات ثم عاد إلى بيحان واستمر في الدراسة والتدريس ومكث هناك سنتين ثم نصحه والده بالتوجه إلى مدينة عدن حيث العلم والعلماء فاستجاب وارتحل إلى عدن وإلى الشيخ عثمان بالتحديد وأخذ على عدة مشايخ ما شاء الله له من العلم كان أهمهم الشيخ/ أحمد بن محمد العبادي.

ثم تحصل على منحة إلى الأزهر عن طريق (نادي الإصلاح العربي الإسلامي) فذهب إلى الأزهر ومكث فيها ما يقارب ثلاث سنوات نال خلالها الشهاداتين الأهلية والعالمية، بعدها عاد إلى عدن الشيخ عثمان ثم انتقل إلى كريتر عدن بطلب من أهالي كريتر ليكون إماماً وخطيباً لمسجد العسقلاني، فركز الشيخ في دعوته على مراحل انطلاقاً من المنبر إلى الاهتمام بالمسجد وحلقات القرآن ثم ركز على تعميق الأخوة بين المسلمين مهما كانت الخلافات، ثم بناء المعهد العلمي ونجح في دعوته حتى ذاع صيته بين العامة والخاصة ويرجع كثير من الكتاب المعاصرين هذا النجاح إلى ذكاء حاد لهذا الشيخ مع سعة اطلاع وفصاحة لغوية وأدبية وشعرية ملك بها زمام القلوب والأبصار.

وتميز هذا الشيخ بتعدد مصادره الثقافية ما بين حضرموت المعروفة بالفقه المذهبي ودقائق الفقه، إلى عدن صاحبة المدرسة العبادية الداعية إلى التحرر من التقليد والتركيز على الفقه المقارن، ثم المدرسة الأزهرية صاحبة الألوان المتعددة من علماء دين وفكر وأدب وسياسة من الدرجة الأولى، فانعكست هذه الثقافات على الشيخ لتصنع منه شخصاً آخر بفكر مستقل لتجعل منه كما وصفه أقرانه بأنه كان ابن دنيا بامتياز وابن دين بامتيازين.

تمهيد:

الحمد لله رب العالمين نحمده تعالى ونستعينه ونستهديه نحمده تعالى حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، القائل في محكم التنزيل (ومن خلقنا أمته يهدون إلى الحق وبه يعدلون) والقائل جل شأنه (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً).

ونصلي ونسلم على سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة تسليماً كثيراً، المبعوث رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً والقائل في سنته المطهرة (ما تزال طائفة من أمتي قائمة على الحق لا يضرهم من خالفهم إلى قيام الساعة).

أما بعد عزيز القارئ:

من هؤلاء الرجال الذين ظلوا قائمين على الحق وصدقوا ما عاهدوا الله عليه وجاهدوا في سبيل الله حتى أتاهم اليقين وما بدلوا تبديلاً فأصبح إيمانهم بالله راسخاً رسوخ الحق وشامخ الرواسي، لا يزعزعه غرور العلم ولا شرود الفكر، جم التواضع كثير القراءة والاطلاع، واسع الصدر، لا يضيق بالترددين عليه - على كثرتهم - .

كان من هؤلاء الرجال على قلتهم الشيخ العلامة محمد بن سالم البيهاني واحد من علماء اليمن العظام.

وإني أجد لها فرصة شاكرًا إدارة جامعة عدن ودعوتها لي بالمشاركة في هذه الندوة التي طالما اهتمت بالعلم والعلماء.

أجد لها فرصة لكي أسطر ولو الشيء القليل عن حياة هذا الإمام الجليل، فكما جرت عادة العلماء وشيعة أهل الفلاح من تتبع سير أهل الصلاح يجمعون فيها ما تحصيل من ذكرى مناقبهم إظهاراً لفضلهم، ورجاء التأسى بهم، تحرك الخاطر حتى يتشرف العبد الفقير إلى الله بذكر بعض شمائل الشيخ العلامة محمد بن سالم البيهاني. وفي هذه الأسطر القليلة التي ركزت فيها على نشأته وثقافته ودعوته ومصادره، كمحاولة متواضعة مني بجانب سلسلة من المحاولات التي سبقني بها البعض من قبل، مع اعترائي بأن كل ما كتب في هذه الأسطر ليس تاريخاً متكاملاً لسيرة هذا الإمام الجليل بقدر ما هي قبسات وشذرات أخذت بعضها من كتبه منقولاً و مسطوراً وأخذت بعضها الآخر ممن عاصر الشيخ ولا سيما تلامذته الذين تتلمذوا على يديه. وحسب كل ناظر أن يصف ما وقع في

مجال نظره، وأخذت بعضها الآخر من خلال قراءة كتب أشعاره التي كانت بالفعل تعبر عن حركاته وسكناته وما يدور في خلجات نفسه.

وصدق الإمام محمد بن سالم البيهاني عندما قال:

(إن الشعر يظهر ما تخفيه الضمائر ويبين به مكنون السرائر وما تطوي عليه نفس كل شاعر وناثر).

ثم أضفت الشيء اليسير إلى ذلك وهو عبارة عن تحليل لمجمل ما قرأت وسمعت عن هذا الشيخ الجليل. كذلك علقت على بعض القضايا والأحداث بما يناسب الحال والمقال لنخرج بمجموع كل ذلك بتاريخ بسيط لسيرة شيخنا العلامة محمد بن سالم البيهاني.

ولا أنسى أن ألفت انتباه القارئ، بأن تحليلي لبعض القضايا والأحداث أمر لا مفر منه لمن أراد الكتابة، إذ إنه لا يمكننا أن نقتفي الآثار ثم نقتصر على الأشكال وطرائف الممارسة دون محاولة النفاذ إلى الفقه والمضمون مما نقرأ أو نسمع، لذا كان لأبد علينا بعد استقراء الخصائص والصفات من استخراج المعاني والمقاصد التي جعلت من الشيخ العلامة محمد بن سالم البيهاني وأمثاله معياراً للأجيال، ثم نستخلص من ذلك كله العبر والدروس لتنعكس مجمل تلك المعاني والعبر على محبيهم ومريديهم، وبذلك نتحول من الاقتصار على الفخر والاعتزاز بهم إلى مرحلة الإنجاز والتأسي بهم أو التقارب معهم ما أمكن ذلك.

ومع هذا وذاك، من الإنصاف القول بأن ليس من حقي أن أقر أن تحليلي لبعض الأحداث ورأبي فيما قلت هو الأصوب، ولكن حسبي أنني بذلت الوسع في التعرف على شخصية الشيخ.

أخيراً أعلم عزيزي القارئ:

أني لم أقصد مما سطرته على هذه الورقات إمتاع القارئ الكريم بقصة عمرها أكثر من مئة عام، ولا أعتقد أن ندوة مئوية ميلاد الشيخ محمد بن سالم البيهاني هدفت إلى ذلك بقدر ما كان الهدف إعادة الاعتبار للشيخ البيهاني وإبراز دوره الذي ظل في الكتمان، وإبراز صورة محدودة المعالم والأفكار عن هذا العلامة فخر اليمن والجزيرة والعالم الإسلامي بأسره، إبراز دعوته وكيف أخذ بها نفسه وكيف تلقاها المجتمع، معرجين على العوائق والصعوبات التي مر بها.

أردت من خلال هذه الأسطر وأراد غيري من خلال هذه الندوة توضيح الملامح المميزة للشخصية الحضارية والإسلامية الذي استطاع الشيخ البيحاني من خلالها إبراز الفكر الوسطي والاعتدال في أمور الدنيا والدين. استطاع ولا غرو في ذلك أن يحول المبادئ إلى برامج، والقيم إلى خطط، والفكر إلى فعل، والنظرية إلى تطبيق، مع إدراك مقاصد الدين. سطرت هذه الرسالة لاعتقادي أن تجربة من سبقونا واجتهاداتهم وأفعالهم وتنزيلهم للقيمة على الواقع هو جزء من خلود هذا الدين ووسيلة إيضاح للطريق التي نسير عليها من بعدهم ولاسيما إذا كنا نعيش على نفس الرقعة التي عاشوا عليها ونعاني بعض ما عانوه قال تعالى (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده). لذا كان من الأهمية بمكان تتبع سيرهم ومن ثم توليد الرأي وتنزيله على واقعنا أو تقويمه به. وجل ما أرجوه من الله عز وجل أن تكون هذه الصفحات حافزاً لكل مسلم تدفعهم إلى تحمل الصعاب والأخذ بزمام المبادرة للارتقاء بهذا الدين والسير به قدماً، وأن يحملوا الراية كما حملها أجدادهم من قبل والله أسأله الإخلاص والتوفيق والسداد.

ولادته :

كان زمن ولادة الشيخ / محمد بن سالم البيحاني الكدادي في العام 1908م الموافق 1326هـ وكان مكان ولادته في إمارة بيحان مدينة القصاب - حصن هادي التي كانت تخضع لحكم الأشراف، وينحدر من سلالة عربية عريقة.¹

نشأته :

نشأ الشيخ محمد بن سالم البيحاني رحمه الله على فراش العلم في بلده بيحان وتحت رعاية والدين كريمين على قدم صدق في عبادة الله تعالى وامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

وكان والده العالم الفقيه والفلكي المتعبد الشيخ/ سالم بن حسين الكدادي البيحاني هو من أشرف على تعليمه وتربيته بنفسه، وتلقى الشيخ محمد بن سالم البيحاني مجمل علومه الدينية من أبيه حيث كان يحضر دروس والده في البيت والمسجد، فتعلم مبادئ علومه الشرعية من فقه وتجويد ونحوها من أبيه.

¹ من كتاب ((أوراق من حياة البيحاني)) للشيخ/ أمين باوزير - ص16.

حفظه القرآن:

ولقد استطاع الشيخ/ محمد بن سالم البيهاني حفظ القرآن صغيراً وقد ساعده على الحفظ فقده البصر صغيراً وهو في الخامسة من عمره، يقول الشيخ/ أمين باوزير:

((أذكر أنه قال لنا ذات مرة وهو في هذا السن - يعني الخامسة - قبل أن يصاب بالعمى إنه مازال يذكر صورة الشمس عند المغيب واضحة أمام عينيه كأنه رآها البارحة))¹

ومع أنه فقد بصره صغيراً إلا أن ذلك لم يكن يوماً ليقف حائلاً بينه وبين تلقيه العلوم الشرعية، وكيف يقف العمى عائقاً في طريقه بعد أن تشبع قلبه بالإيمان وحب العلم حتى أنشد في ذلك قائلاً:

يقولون لي أعمى وما أنا بالأعمى ولكنما الأعمى الذي فقد العلماء
وقلبي مضيء والقلوب هي التي ترى كل شيء كيفما كانت الظلما
ومن فضل ربي أن قلبي إذا رأى رمية شيء سد السهم في المرمى
ولا تحسبني قد فقدت بصيرتي ففي القلب نور يثقب الصخرة الصما
ولا خير في عين ترى الحق باطلاً وإن عظمت حسناً وإن كبرت حجماً²

وفي هذه الأبيات يبين الشيخ/ محمد بن سالم البيهاني أن الله أخذ منه نور البصر ولكنه جل شأنه أبدله بصيرة نافذة يرى بنور الله، ويبين الشيخ أن العمى الحقيقي هو حين تعمى روح الإنسان عن حقيقة الحياة والكون فلا يرى منها إلا الجانب الحسي الظاهر، وهنا يختل التوازن داخل كيان الإنسان. قال تعالى مبيناً ذلك.

﴿ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾³

﴿ يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾⁴

وفي رثاء الشيخ البيهاني لبصره يقول:

ولا شيء يزعجني مثل أن فقدت صغيراً جمالاً البصر

¹ من كتاب ((حلقات القرآن الكريم)) للشيخ/ أمين باوزير ترجمة البيهاني.

² كتاب ((العطر اليماني من أشعار البيهاني)) للشيخ البيهاني - ص178.

³ سورة الحج آية (46).

⁴ سورة الروم آية (7).

وأني أريد القراءة لي ولا أجد القارئ المعتبر¹

يقول الأستاذ فضل النقيب وهو أحد تلامذة الشيخ البيهاني معلقاً على فقد شيخه بصره ومؤكداً ما كان يتمتع به الشيخ البيهاني من نفاذ البصيرة ما نصه:

((كان الشيخ البيهاني كفيفاً ولكنه نافذ الإبصار يمتلك حساسة بدوي يقص الأثر في رمال الصحراء المتحركة، وليس ذلك بمستغرب فهو من بيحان أحد البقاع الحارسة على الربع الخالي، ويمتلك سرعة بديهة الأزهرى، وقد كان أحد خريجي الأزهر اللامعين، وتتجلى هذه الموهبة في إدارته الأحاديث ما بين دنيا ودين، فهو مع العامة يسيطر مباشرة بضربة معلم يبهر حتى يجعلهم يقولون آمين الله يفتح عليك يا شيخ، وهو مع الخاصة يتحذر فيخلط الجد بالهزل حتى يقارب عقل محاوره ويبرزه ويعرف من أين يدخل إليه فيفحم أو ينسحب عنه فيلجم.

كان ابن دنيا بامتياز وابن دين بامتيازين

ولعل ذلك من فضائل كف البصر الذي يربي العبقرية من ذوي القابلية كالمعري وبشار بن برد وطه حسين والبردوني وشيخنا البيهاني².

ارتحاله في طلب العلم:

إلى حضرموت أولاً:

ولما ظهرت حافظة شيخنا البيهاني ومواهبه رأي والده أن يبعثه مع أخيه عبدالإله بن سالم البيهاني إلى حضرموت وعلى وجه التحديد إلى تريم فهاجر من بلده بيحان إلى تريم والتحق برباط تريم لتلقي العلوم الشرعية وكان ذلك في 25/ ذي القعدة/1339هـ.³

وبعد أربع سنوات وسبعة أشهر عاد الشيخ البيهاني إلى بلده بيحان واستمر في حضور دروس والده رحمه الله، فكان والده حين ذاك يصدره في المجالس ويسمع تدريسه لكي يشجعه على العلم ولكي يعودده على حسن التعبير فمكث في بلده سنتين علم فيها وحاضر وأفاد واستفاد.

¹ كتاب (رباعيات البيهاني) للشيخ البيهاني - ص37.

² كتاب ((أوراق بيحانية)) للشيخ أمين باوزير - ص23.

³ كتاب ((معالم الإصلاح في حياة البيهاني)) للأستاذ/ عبدالملك الشيباني - ص4.

إلى عدن ثانياً:

ثم نصحه والده بالتوجه إلى مدينة عدن مهد العلم والعلماء والحضارة والازدهار وكان ذلك في عام 1346هـ الموافق 1928هـ. فأخذ بنصيحة والده ونزل إلى عدن وبالتحديد إلى مدينة الشيخ عثمان ليتلقى العلم على يد فضيلة الشيخ/ أحمد بن محمد العبادي رحمه الله¹. وانخرط حين ذاك في عضوية (نادي الإصلاح العربي الإسلامي) حيث إن هذه الأندية لها نشاطات إصلاحية وثقافية ظاهرة ونشاط سياسي مستتر، يقود حركة هذه النوادي رجال خيرون وعلى رأسهم الشيخ/ أحمد بن محمد عوض العبادي.

إلى الأزهر ثالثاً:

سبق أن أشرنا إلى أن الشيخ/ محمد بن سالم البيهاني توجه إلى عدن والتقى بشيخه العالم الجليل الشيخ أحمد بن محمد العبادي وأخذ عنه ما شاء الله من العلوم وأعجب كل منهما بالآخر. وتوقع العبادي أن يكون للبيهاني شأن عظيم في المستقبل القريب، وأثناء وجوده في عدن انخرط البيهاني في (نادي الإصلاح العربي الإسلامي) وصدق ما قاله العبادي من تنبؤ لشخص البيهاني وقبض الله تعالى للبيهاني فرصة وهياً له أسباب السفر، حيث تحصل البيهاني على بعثة للدراسة الأكاديمية في مصر وإلى الأزهر الشريف بالتحديد، ومُنحت له هذه البعثة من خلال (نادي الإصلاح العربي الإسلامي)². وهناك تلقى الشيخ البيهاني علومه الشرعية إضافة لما أخذه من مشائخه في حضرموت وعدن.

ومكث في الأزهر نحو ثلاث سنوات، نال فيهما الشهاداتين الأهلية والعالمية.

ويفصل أكثر الشيخ/ محمد عبدالرب جابر فيقول:

¹ كان له الأثر الكبير في شخصية البيهاني وكان معروفاً بمحاربة البدع والشعوذة وأخبرنا الفنان/ محمد مرشد ناجي أن الشيخ العبادي تعرض للاغتيال مرتين لحركته النشطة، ولكن في كل مرة كان الرصاص يكذب فلم يصب بأذى. كذلك له كثير من المؤلفات في الفقه والعقيدة ونحوها. وتخرج على يديه الكثير من المشائخ والعلماء حينها أمثال: الشيخ محمد سعيد جرادة والشيخ عبدالله محيرز.
² تأسس في مدينة الشيخ عثمان ضواحي عدن كما تأسس نادبان آخران في كل من التواهي وعدن يحملان نفس الاسم لها نشاطات إصلاحية وثقافية ظاهرة ونشاط سياسي مستتر حيث لم تكن السلطات البريطانية تسمح بقيام الأحزاب السياسية فنشطت هذه النوادي في تأدية رسالتها الثقافية وبت الوعي السياسي بين الشباب.

(إن الإمام البيهاني التحق بكلية الشريعة في الأزهر ومكث فيها نحو سنة
أنفصل بعدها لظروف القاهرة واجهها الشيخ رحمه الله) .

(وهناك تعرف الشيخ/ البيهاني والتقى بشخصيات مشهورة من رجال الفكر
والأدب والثقافة، وزارهم في منازلهم كأمثال الدكتور طه حسين / والأستاذ
عباس محمود العقاد، ومن علماء الدين كأمثال الشيخ محمد الغزالي / وسيد
سابق وغيرهم كثير.

وكان على صلة وثيقة بالأستاذين اليمينيين الكبيرين الشيخ/ أحمد محمد
النعمان والشاعر/ محمد محمود الزبييري (أبي الأحرار)¹ وتوثقت عرى المحبة
بينهما وكان لهم الشأن الكبير في حركة الإصلاح اليمينية) وأقام بذلك جسراً
متيناً وصداقة حميمة بين مصر واليمن)².

عاد الشيخ البيهاني إلى عدن وقد ازداد علماً إلى علمه، وتركت في نفسه هذه
الدراسات الأثر الكبير حيث أخذ من أساليب الآخرين من العلماء الأفاضل وتأثر
بأفضل ما عندهم واغترف من علمهم وعلى يد أجل علمائهم ما شفى به ظمأه
وأروى علقته.

ولقد كان الشيخ البيهاني في الأزهر مثال الطالب المسلم المتفوق على أقرانه
في كل شيء.

(وعند عودته إلى عدن وإلى الشيخ عثمان بالتحديد طالب الصالحون من
ساكني مدينة عدن (كريتر) من الشيخ/ أحمد بن محمد العبادي أن يعيرهم
الشيخ البيهاني ليكون لهم إماماً وخطيباً ومعلماً، فاستجاب الشيخ/ العبادي
لطلبهم وشجع الشيخ البيهاني على الانتقال إلى مدينة عدن كريتر، وذلك
بعد أن مهدت الاتصالات بين الشيخ البيهاني وبين كثيرين من أعيان عدن
كريتر أمثال الشيخ أحمد عمر بازرة وأخيه سعيد بن عمر بازرة والشيخ/
علي محمد ذيبان والشيخ/ محمد عوض باوزير رحمهم الله جميعاً وغيرهم رأوا
الحاجة الماسة إليه لتولي الإمامة والخطابة والتدريس في مسجد العسقلاني
فقبل)³

في عدن كريتر:

يقول عبد الملك الشيباني وهو أحد التلامذة لشيخنا البيهاني ما نصه:

¹ جدير بالذكر أن القاضي الزبييري قد وضع مقدمة كتاب البيهاني (الفتوحات الربانية).

² من كتاب (أوراق من حياة الشيخ البيهاني) للشيخ باوزير ص 27 .

³ نسبة إلى الإمام ابن حجر العسقلاني الذي أقام في عدن لمدة ستة أشهر من سنة 806هـ.

(وصل شيخنا البيهاني رحمه الله تعالى إلى عدن كريتر في بداية الأربعينيات من القرن العشرين وسكنوه في بيت من بيوت الأوقاف في حارة القاضي وتردد عليه كثير ممن عرفوه، ومن الزوار الجدد الذين سمعوا عنه أو استمعوا له من على منبر العسقلاني في خطبتي الجمعة أو من دروسه في المسجد وكل يوم يزداد زواره ويتنافسون في أمور كثيرة فهاله ما يرى ويسمع من جهل مفزع، وفقر مدقع ومرض مضجع، ويالها من أدواء خطيرة تنخر في المجتمع، ثالث مخيف جهل ومرض وفقر، فأنبرى لمحاربة ذلك في دروسه ومحاضراته وندواته وكتاباته وخطبه وأحاديثه الإذاعية رافعاً بذلك لواء السنة عالياً وقامعاً البدع والخرافات والأوهام مردداً قول حسان بن ثابت:

وخير أمور الدين ما كان سنة وشر الأمور المحدثات البدائع

فأحبه مريدوه ومحبوته والتفوا حوله معجبين بفضاحته وبلاغته وصراحته في الحق لا يخشى في الله لومة لائم).¹

¹ من كتاب (معالم الإصلاح في حياة البيهاني) للأستاذ عبدالملك الشيباني ص6.

مراحل دعوته :

أولاً: البيهاني والمنبر:

(كان مسجد العسقلاني: يمتلئ يوم الجمعة بالمصلين ويفترشون الأرضية مما جعله يفكر في توسعة المسجد وبنائه من جديد، فأخذ يحث على جمع التبرعات وانبرى الناس بدفع تبرعاتهم وفي حوالي 1948م هدم المسجد ومع بداية الخمسينات افتتح جامع العسقلاني بعد تجديد بنائه. وعمل له سكن في مؤخرته وانتقل للسكن إليه وانطلقت من على منبره دعوة الشيخ البيهاني الإصلاحية يرحمه الله وبها انطلق صوت الحق عالياً¹)

ويزيد الشيخ أمين باوزير:

كان حفل افتتاح المسجد في عدن مساء الخميس الموافق 15/ محرم 1370هـ وألقى الشيخ البيهاني في الحفل قصيدة أشار من خلالها إلى أهمية المسجد في بناء الأمم، وفي نفس القصيدة كذلك أشار رحمه الله إلى عزمه بشأن بناء المعهد العلمي الإسلامي بعدن وأنه مشروعه التالي كتكملة لدور المسجد. - قال في القصيدة وما موجزه:

يا جامع العسقلاني الذي حفظت به الشريعة والإسلام حين بني
إذ نواصل أن تبقَى مشيدة للعلم أركانك الشما بلا وهن
فافتح لنا فيك باباً مغلقاً وعلى هداية الناس بالرحمن خاشعن
أدّ الرسالة واجمعنا مع العظماء بالعلم والفضل والآداب في قرن
وهاهنا المعهد العلمي نفتحه كأنه الأزهر الباقي على الزمن
ومنه يخرج أبطال عباقرة من قادة الفكر في الأمصار والمدن
ومن كل علامة فهامة لبق يملئ الأحاديث إملاء الفتى اللسن
هم الحلول وهم سادات أمتهم فما العزيز وما سيف بن ذي يزن²

ويقول الأستاذ فضل النقيب:-

¹ من كتاب (معالم الإصلاح في حياة البيهاني) للأستاذ عبدالملك الشيباني ص6.
² من كتاب (العطر اليماني من أشعار البيهاني) للشيخ محمد بن سالم البيهاني ص197 وهذه بعض أبيات قصيدته التي تبلغ 22 بيتاً.

وهو أحد تلاميذه النجباء الذين لازموا الشيخ واصفاً بالإجمال خطاب الشيخ البيهاني من على المنبر ما نصه:-
(كان يتألق الشيخ الضريير فوق منبره، يستعرض القضايا المعاصرة متجاوزاً فقهاء التقاليد الذين لا يخرجون عن المواضيع التقليدية التي أكل عليها الدهر وشرب، وكان شديد الثقة في نفسه ويعلمه، وقد خاض معاركه مع نظرائه بضمير الغائب لا بضمير المخاطب، وكان يربأ بلسانه عن الجهر بالسوء، ويجعل الخلاف في إطار الموضوع لا في إطار الذات، ولم يضق صدره بالمنهاج المدنية، فقد كان متنورا وثيق الصلة بعصره).¹

ويقول الدكتور بدر سعيد الأغبري ما نصه:
(إن البيهاني كان يقف موقفاً وسطاً بين الغلو والتطرف فقد حارب التطرف بكل أشكاله وألوانه فمثلاً في قضية المرأة يرى أن السفور تبرج وأن النقاب قبر تدفن فيه المرأة حية.

¹ من جريدة "الأيام" الصادرة 9/ يناير 2005م العدد 7376 .

أما في عملية الإصلاح الديني فقد انتهج البيهاني مسار مدرسة النهضة الإسلامية التي تعود جذورها إلى دعوة فكرية ظهرت في العصر الرسولي، وهي دعوة هدفت إلى ترك التمذهب ونبذ الخلاف، منددا بالاستعداد والتكفير والتضليل الذي يعتمده البعض في تعصّبهم المذهبي وتقليدهم الأعمى، وبالنسبة لرأيه في الإصلاح السياسي فقد شدد البيهاني على الالتزام بين الإصلاح الديني والسياسي، إذ يرى أن الفرقة المذهبية في الدين تؤدي إلى الفرقة والتشتت السياسي، لهذا فإن أساس الإصلاح يقوم على الوحدة السياسية والأخوة في النسب والدين والوطن).¹

يتضح لنا من خلال ما ذكر آنفاً أن الشيخ البيهاني ركز في دعوته أيما تركيز على المنبر، وبدأ من خلاله يبث في الناس روح الإيمان وحقيقة الإسلام، وساعده في ذلك كما يقول الشيخ أمين باوزير (إن الشيخ البيهاني كان عالماً ضليعاً ومحدثاً بارعاً فصيحاً له قلب مشبع بالإيمان).

وأعتقد أنني من خلال قراءتي كتابه ((الفتوحات الربانية)) يتبين بوضوح لا لبس فيه أن الشيخ البيهاني كان يفقه تماماً المرحلة التي يمر بها ويدرك الواقع المعاش عند الخطاب، ويراعي في ذلك كله الأصلح للأمة، ومع كل ذلك فقد كان رحمة الله يتمتع بملكة الإقناع وإقامة الحجة والبراهين لما يقول.

لذا لا أتردد لحظة واحدة في أن الشيخ البيهاني كان يدرك تماماً في كل الأحوال من يخاطب، وكيف يخاطب، ولماذا يخاطب، ومتى يخاطب، وأنه كان يجيد عموميات الخطاب دون الخوض في الجزئيات، وكان يستغل الأحداث لتوجيه الرأي العام إلى ما فيه خدمة الإسلام والمسلمين وتقريب الإسلام إلى الأفهام، وتكوين رأي عام إسلامي لدى الجماهير من الأمة المسلمة لنبذ الرذيلة ومحاربة الفساد، وقد نجح في ذلك نجاحاً باهراً حتى ذاع صيته بين العامة والخاصة، وملك بعلمه وفضله زمام القلوب وحب الناس فليفعل بها ما يشاء.

وقد حدثني كثير ممن عاصروا الشيخ البيهاني أن الناس وبعد توسعة المسجد كانوا يفتشون الشوارع لحضور خطبة الشيخ البيهاني حتى ينقطع طريق العيروس إلى القطيع.

فجزاه الله عن الإسلام خير الجزاء.

¹ كتاب (أوراق من حياة البيهاني) للشيخ أمين باوزير ص 44 .

ثانياً: البيهاني والمسجد:

من خلال التعرف إلى شخصية البيهاني وأعماله يظهر لنا بوضوح أنه رحمه الله كان يؤمن بحتمية التغيير ويعلم علم اليقين أن سنة الله جارية في التغيير الاجتماعي أن يسبقه تغيير نفسي حتى يصبح الإنسان إنساناً جديداً في أفكاره وآماله. قال تعالى مصداقاً لذلك { إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم }¹.

وأن الإنسان أياً كان كما فيه بذرة الشر كذلك فيه بذرة الخير، بل وهي الأساس وهي الفطرة كما قال تعالى: { فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله }².

كذلك كان يؤمن إيماناً عميقاً بأن العلماء هم أساس التغيير في كل زمان ومكان، بل وهي رسالتهم في الحياة كما كانت من قبل رسالة الأنبياء، وله الحق كل الحق في ذلك، لأن المجتمعات الإسلامية عموماً ومهما بدا منها من تقصير في دين الله تعالى، وكما أثبت التاريخ صارت كلما أصابها الظلم وتفاقم تتطلع إلى العلماء لأنهم هم وحدهم يمتلكون أسباب التغيير المنشود اجتماعياً كان أو سياسياً أو اقتصادياً أو فكرياً. فلم يعد التغيير في مثل هذا الزمان مرتبطاً بالفرسان ولا العصابت العسكرية.

الانطلاقة:

عزيزي القارئ .. اعلم أن الزرع يحتاج إلى أرضية لكي ينمو ويزدهر، وكذلك التغيير يحتاج إلى أرضية؛ وأرضية التغيير هي (العقل والقلب) فإذا وجدت الأرضية التي تستقبل التغيير استطعنا أن نصل إلى ما نصبو إليه ولو بعد حين. وأسوتنا في ذلك هو نبينا محمد بن عبد الله ﷺ فعندما أراد أن يغير ذلك الواقع المرير أوجد أولاً وقبل كل شيء الأرضية التي تستقبل التغيير "العقل والقلب" انطلاقاً من قوله صلى الله عليه وسلم: { ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح سائر الجسد وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب } وبعد أن أوجد صلى الله عليه وسلم الأرضية فإننا نحتاج إلى ركائز نصل وننتقل من خلالها إلى التغيير المنشود.

¹ سورة الرعد - آية (11)

² سورة الروم - آية (30)

وان المتصفح لسيرة النبي عليه أفضل الصلاة والسلام يجد أنه اعتمد في انطلاقه إلى تغيير الأمة على ركيزتين أساسيتين هما:

- 1- بناء المسجد والاهتمام بدوره.
 - 2- المؤاخاة بين المؤمنين (مهاجرين وأنصار).
- والشيخ البيهاني رحمه الله ترسم خطا النبي عليه أفضل الصلاة والسلام فبدأ الانطلاقة في دعوته وجهاده.
- فمن خلال المسجد جاهد البيهاني ليحيي رسالته الخالدة من خلال الآتي:-

1- إقامة الحلقات القرآنية لحفظ كتاب الله وإتقان تلاوته.

ولم تمر سوى فترة وجيزة حتى نجح البيهاني رحمه الله في تأسيس تلك الحلقات القرآنية، وكان رحمه الله يرعاها بنفسه وماله، ويشرف على جميع نشاطاتها من مسابقات حفظ وتلاوة وغيرها حتى ازدهرت تلك الحلقات وتخرج منها الحفاظ لكتاب الله ومدرسو القرآن الكريم، وما الشيخ / أمين سعيد باوزير إلا واحد من نتاج هذه الحلقات.

ويفصل أكثر الشيخ عبد الرب جابر ويقول ما ملخصه:

لقد كان الشيخ البيهاني يهتم أشد الاهتمام بحلقات القرآن الكريم ويرعى كل نشاطاتها ليس في مسجد العسقلاني فحسب بل على مستوى محافظة عدن عامة، حيث كان الشيخ البيهاني رحمه الله على رأس لجنة مكونة من عدة مشائخ، وتقوم هذه اللجنة بإجراء الاختبارات لجميع الحلقات القرآنية على مستوى محافظة عدن عامة.

ثم بعد ذلك يتم اختيار أبرز الطلاب في الحفظ والتلاوة على مستوى جميع مساجد عدن عامة، ويتم ترتيب حفل سنوي عام للمحافظة يتم من خلاله اختيار أبرز ثلاثة طلاب من مجموع الحاضرين المنتخبين من طلبة الحلقات القرآنية لمساجد عدن عامة.

فيكرمون بعد حفل مهيب يحظرة جل أعيان عدن وعلمائها عامة ويكون الاحتفال عادة في مدرسة لطفي جعفر أمان في مدينة كريتر عدن.



2- إنشاء الحلقات العلمية من فقه وحديث وتفسير ونحو للعامّة والخاصة وذلك لضمان زيادة الوعي لدى الناس، فازدهرت تلك الحلقات في عهده وتخرج منها طلبة العلم والدعاة والمشائخ، وما الشيخ محمد عبدالرب جابر إلا واحد من نتائج هذه الحلقات العلمية المباركة. كذلك كان ممن تخرج من هذه الحلقات الشيخ/ سالم عبدالله الشاطري وعبدالله عبدالوهاب القدسي وغيرهم كثيرين.

ويقول الشيخ/ محمد عبدالرب جابر:

لقد كانت حلقات الشيخ البيهاني لا تنقطع عن المسجد، ومن حلقاته العلمية اليومية التي كانت يلقيها على طلبة العلم على الآتي:-
1- كانت حلقة القرآن الكريم يومياً من بعد صلاة الفجر حتى الشروق.
2- وكانت حلقة الفقه والحديث يومياً من بعد صلاة العصر.
3- وكانت حلقات علوم القرآن وغيره يومياً من بعد صلاة العشاء وكانت بعنوان: (تحت راية القرآن الكريم).

ويؤكد ذلك الشيخ/ عبدالله عبدالقادر فيقول:

(كان الشيخ البيهاني إماماً وخطيباً لمسجد العسقلاني، وعقد هناك الدروس المتنوعة في الحديث والسيرة والفقه والتفسير وشتى أنواع العلوم الشرعية، وكان يختم صحيح البخاري مرة في كل عام، وكان وقته مشغولاً بما يلقيه من دروس في كل فن من فنون العلم، وقد استفادت منه عدن والتفأ حوله الصالحون من أهل البلاد ووضعوا الآمال في يديه فقام رحمه الله ببناء المساجد وحضر الآبار).¹

ويفصل في مكان آخر تحت عنوان (منهجه الإصلاحية) فيقول:-

- لقد قام منهجه الإصلاحية في عدن على الآتي:-
- إحياء التعاليم الإسلامية في النفوس والمجتمع.
 - العودة إلى الكتاب والسنة والعمل بهما.
 - تربية النشء الصغير تربية إسلامية صادقة.
 - توعية الناس وثقيفهم ثقافة إسلامية لمواجهة تحديات العصر.²

¹ في من رحل من علماء بيهان خلال قرن من الزمان) للشيخ عبدالله عبدالقادر العليمي ص82.

² في من رحل من علماء بيهان خلال قرن من الزمان) للشيخ عبدالله عبدالقادر العليمي ص84.

3- ركز الشيخ البيهاني على المنبر فبدأ من خلاله يبيث في الناس روح الإيمان وحقيقة الإسلام وساعده في ذلك كما يقول الشيخ / أمين سعيد باوزير: (أن الشيخ البيهاني كان عالماً ضليعاً ومحدثاً بارعاً فصيحاً وله قلب مشبع بالإيمان).

ومع كل هذا وذاك لم يكتفِ البيهاني بذلك بل بدأ يصول ويجول في مساجد عدن عامة كمحاولة منه رحمه الله لإعادة رسالتها الخالدة. ولنسمع إلى الشيخ البيهاني وهو يصف الصدمة التي أصيب بها مما رآه خلال تجواله في مساجد عدن حيث يقول ما نصه:

(وأنا أشيد بكثرة المساجد في عدن وفي كثير من بلاد المسلمين، ولكن ألوهم إخواننا العدنانيين وأبكي الدموع والدماء، إذ دخلت بعض المساجد وعرفت أحوال أصحابها، فمن إمام رث الهيئة إلى خطيب لا يدري ما يقول ولا يحتسب خطبة الجمعة إلا ألفاظاً يتعبد بتلاوتها لا معدل عنها ولا يستبدل بها سواها).¹

شعر الشيخ البيهاني من خلال تجواله في مساجد عدن أن هناك إهمالاً متعمداً للمساجد، سواء من حيث البناء أم التشييد أم من حيث الإعانة المادية المقدمة للقائمين على المسجد، أم من حيث عدم اختيار الأكفاء القادرين على إحياء رسالة المسجد.

وبعد ما رأى رحمه الله ذلك بدأ يهاجم المسؤولين عامة والأوقاف على وجه التحديد، خاصة لما رآه من إهمال للقائمين على المساجد. ومما ورد عنه في ذلك قوله:

وقد أسأل عن دخل المسجد والأوقاف عليه فاعلم أنها كثيرة قادرة على جلب إمام ومؤذنين صالحين، لولا تساهل النظار وجهلهم وسوء تصرفهم في الأوقاف التي عهد بها إليهم وهم المسؤولون عنها يوم القيامة.

قال تعالى: (فومر بك لنسألهم جميعاً عما كانوا يفعلون).² واستمر الشيخ البيهاني في الضغط على المسؤولين والقائمين على المساجد عن طريق الكتابة والتأليف تارة أو من خلال تحيين الفرص والمناسبات الدينية للدعوة إلى اختيار الأكفاء والقادرين على حمل رسالة المسجد والدعوة على بصيرة.

¹ (نحو المسجد) للشيخ محمد البيهاني ص 75 .

² كتاب (نحو المسجد) للشيخ البيهاني ص 76 .

ومما كان يطالب به مراراً وتكراراً إعطاؤه بقعة في شعب العيدروس لكي يبني عليها مسجداً نظراً للكثافة السكانية في تلك المنطقة، ولكن للأسف لم يستجب له أو ينظر في طلبه.¹

ذكر ذلك في كتابه (نحو المسجد) ومما جاء عنه في ذلك أيضاً قوله:

كم أنادي ولا أزال أنادي في بلادتي بمسجد ويناد
والى الآن ما سمعت مجيباً يا صوتي ويا لسمع بلادتي
لست أدري أكان صوتي ضعيفاً أم بقومي تصامم عن عناد²

ولكن قدر الله أن يستجيب لهذا الشيخ ولو بعد حين، ففي سنة 1995/8/9م تم افتتاح نادي الضياء الرياضي والثقافي في شعب العيدروس، كذلك في سبتمبر 2003م شاء الله أن تتحول ما كانت تسمى (المجزرة) سابقاً في شعب العيدروس إلى مسجد بُني تحت إشراف ونفقة (جمعية طيبة الخيرية) وسمي (مسجد طيبة).

عزيزي القارئ:-

لقد ذهلت كثيراً لهمة هذا الشيخ الجليل وأنا أقرأ كتابه (نحو المسجد) عندما سطر في أواخر كتابه جميع مساجد عدن على مستوى المحافظة كاملة بأسمائها وأماكن وجودها بل وفي أحيان كثيرة تاريخ بنائها ونحو ذلك من معلومات.

فقلت في نفسي وأنا من أبناء عدن لم أخرج منها ولمدة ستة وثلاثين عام من عمري، مع ذلك بالكاد أستطيع أن أحصي مساجد (مديرية صيرة)، فكيف برجل ضرير وقد بلغ من العمر عتياً أن يجول كل تلك المساجد ويحصيها وما ذلك الإحصاء والتجوال في مساجد عدن عامة إلا دليلاً واضح على علو همته وأنه رحمه الله كان يعلم علم اليقين أهمية المسجد وأهمية الرسالة التي يمكن أن يؤديها المسجد في تغيير الأمم.

¹ كذلك لا ننسى أن الشيخ البيهاني كان وراء بناء سور مجنة القطيع والعيدروس، كذلك كان وراء مجانية الكهرباء والماء لجميع المساجد في عدن، وذلك عندما خطب في ميدان الحبشي سنة 1968م وكان الرئيس قحطان الشعبي حاضراً الخطبة فاستجاب له. كذلك أسهم الشيخ البيهاني في بناء جامع (النور) في عام 1958م مع عدد من أعيان عدن، كما أسهم الشيخ في بناء مسجد النور في الشيخ عثمان حيث كان رئيس اللجنة وكان المشروع بتمويل من الجمعية الإسلامية للتربية والتعليم.

² (العطر اليمني من أشعار البيهاني)، للشيخ/ محمد بن سالم البيهاني ص68.

نظرة البيهاني للمسجد:

عندما يتصفح القارئ كتابه (نحو المسجد) يرى وبوضوح مدى أهمية المسجد في نفس الشيخ البيهاني وإلى ماذا كان يسعى من وراء إحياء رسالة المسجد، ومما ورد عنه في ذلك قوله في المسجد:
(إنه مصدر التشريع، ميدان الرياضة، وبرلمان الدولة، ومحل التدريب العسكري، وملجأ الضعفاء والعجزة، ومدرسة الطالب...)¹
وفي مكان آخر يقول:-

لابد أن يتخرج من المسجد الفقيه والقارئ والحاكم... وأما المجاهدون ورجال السلك السياسي من الفاتحين وبناء الممالك، فسل عنهم المساجد لتحديثك عن سعد بن أبي وقاص والمثنى بن الحارث وأبي مسلم الخراساني... كانت المساجد أبحراً تدفع بالأمواج من أبطال الغزو وعلماء الدين، ومن المسجد يخرج أبطال عباقرة من قادة الفكر في الأمصار والمدن. قال الشاعر فيهم:-

قومٌ إذا نضخوا من روح نهضتهم في الميت أحيوه بعد اللحد والكفن
ومن القصيدة نفسها يقول الشاعر فيها مخاطباً المسجد:-

واضرب لنا المثل الأعلى بمن خرجوا من المساجد كأنظام والحسن
وخالد والمثنى والألى هدموا معالم الشرك من صرح ومن وثن²

وكفى بهذه الكلمات كتعبير واضح لمكانة المسجد في نفس الشيخ البيهاني ومن أجل ذلك ناضل الشيخ البيهاني وألف كتابه المشهور (نحو المسجد). واستمر نضال البيهاني نحو المسجد وتوسع في كثير من المناطق، ومما نقل عنه أنه وفي عام 1962م استحدث مدرسة تعليمية دينية ضمن مسجد الضياء تعرف اليوم باسم (معهد الضياء العلمي) ثم أصبحت بعد دمج التعليم تعرف باسم (مدرسة الضياء الابتدائية). وكان ضمن تلامذته الذين ساعدوه في التدريس بهذه المدرسة تلميذه الشيخ/ محمد عبد الرب جابر.

¹ (نحو المسجد) ، للشيخ محمد بن سالم البيهاني، ص4 .

² (نحو المسجد) ، للشيخ محمد بن سالم البيهاني، ص16-17 .

ثانياً: إشاعة الأخوة بين المؤمنين:

من يقرأ مؤلفات الشيخ البيهاني يجده دائماً في نظمه أو نثره أو مؤلفاته يدعو باستمرار إلى الألفة والاتحاد بين المؤمنين، ولا يترك فرصة إلا ويشير إلى أهمية الأخوة وضرورة التآلف ورأب الصدع بين المسلمين، ولا سيما بين العاملين في حقل الدعوة والعلماء منهم بشكل خاص، وذلك لأنه يعلم علم اليقين أنه من دون الائتلاف والتقارب ما أمكن ذلك لن يتحقق المقصود ولن تقوم للمسلمين قائمة انطلاقاً من قوله تعالى:-

((ولا تنازعوا فتزعلوا وتذهب بركم واصبروا إن الله مع الصابرين))¹.

وانقل لكم مما سطر في سعيه إلى الألفة ما نصه:

قال رحمه الله (وفي بلادنا نشعر ونحس باختلاف الآراء وتباين الأغراض والمقاصد، لا يتفقون على شيء ولا ينقاد أحد منهم لغيره، وعددهم قليل ودينهم واحد، ولغتهم واحدة، ولكن علماءهم مختلفون وتجارهم مختلفون، وعمالهم مختلفون، وإن اجتمعوا على شيء تفرقوا قبل أن يعملوا شيئاً، ويؤسسون الجمعيات والأندية فسرعان ما تزول وتضمحل وتذهب أعمالهم أدراج الرياح لسوء التصرف وعدم الثقة وإسناد الأمور إلى غير أهلها، ويدخلون المساجد متعبدين وضارعين إلى الله في توحيد كلمتهم، وتسوية معوجهم، ولكنهم يخرجون وما تعاهد منهم اثنان، ولا تنازل أحد منهم عن أي حق له، ولا عرف لأي إنسان فضل عليه، يسمعون الخطباء ويقرأون الجرائد ويشعرون بسوء حالهم، ويفرض عليهم كل يوم قانون جديد، فلا يتفقون ولا يتوجهون وكلما خرجوا من مصيبة نزلت بهم أخرى وكلما حاولوا أن يحلوا مشكلة، ظهرت لهم مشاكل أخرى، لأنهم متفرقون ولا يعملون مجتمعين، ولا يعرفون معنى التضحية، ولا يقدرّون المصالح العامة، ولا يتناجون بالبر والتقوى، إنما يتناجون بالإثم والعدوان)².

وكفى بهذه الكلمات الجامعة كتعبير لما كان يشعر به الشيخ البيهاني من حسرة وألم بسبب تفرق كلمة العلماء وتفرق من بعدها العامة وانقطعت بسببها أواصر الأخوة بين المؤمنين، مع أنها من أوثق عرى الإيمان بنص حديث النبي عليه أفضل الصلاة والسلام حيث قال:

¹ سورة الأنفال ، آية 46 .

² (إصلاح المجتمع) ، للشيخ/ محمد بن سالم البيهاني، ص105.

(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه).¹

وأضعنا بالتفرقة نعمة الله علينا حين قال تعالى:

((واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً))²

وفي مكان آخر يقول البيهاني في ذلك ما نصه:

(ولو بذل العلماء قصارى جهدهم في الألفة والاتحاد ووجدوا كلمة الأمة وجمعوها بعد التفرق لقضوا بحكمتهم البالغة وصحوتهم الدامغة على هذه المذاهب والأحزاب في الدين والسياسة، ومن يستطيع غير العلماء أن يصلح ذات البين ويصدع بالحق ويقول بملء فيه إذا رأى الحق نعم وإذا رأى الباطل كلا ولا).³

لكن يا أسفا على ما نحن فيه اليوم ولا أدري هل نسينا أو تناسينا قوله عليه أفضل الصلاة والسلام:

(لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أخبركم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم).⁴

عزيزي القارئ:

اعلم علم اليقين أن الاتحاد والألفة والتآخي هو طريق النصر الأكيد وأن الفرقة والتباغض والحسد هي طريق الخسران المبين.

واقرؤوا إن شئتم قوله تعالى:

((ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب مرجحكم))⁵، أي قوتكم.

وما هزيمة أحد إلا بسبب أنهم تنازعوا فانقسموا وخالفوا بذلك أمر رسولهم، قال تعالى:

((ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه، حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتهم من بعد ما أمركم ما يحبون، منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم، ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين)).⁶

¹- أخرجه الإمام البخاري ومسلم.

²- سورة آل عمران ، آية 103 .

³- (إصلاح المجتمع) ، للشيخ/ محمد بن سالم البيهاني ، ص 103 .

⁴- أخرجه الإمام مسلم .

⁵- سورة الأنفال ، آية 46 .

⁶- سورة آل عمران) آية 152 .

ومع ذلك فإن الشيخ البيهاني لم ييأس يوماً من تكرار المحاولة تلو الأخرى في سبيل رأب الصدع وجمع الكلمة، وكان يتحين كل فرصة ممكنة لجمع العامة وتبصيرهم بذلك.

وجدير أن نعلم أن الشيخ البيهاني هو أول من دعا إلى صلاة العيد في الميدان كخطوة أولى منه إلى الاجتماع بجميع المصلين على صعيد واحد وكان ذلك في عام 1365هـ.

ومما ورد عن الشيخ البيهاني في باب إشاعة الأخوة والتكافل بين المسلمين جاء في جريدة الأيام ما نصه:

(كانت عدن رمزاً ساطعاً من رموز المجتمع المدني في عموم الجزيرة والخليج ومن بين صفوف ذلك المجتمع نشأت المؤسسات وعندما كان السواد الأعظم من السكان من المسلمين تديرهم إدارة بريطانية حرصت مجموعة من صفوة السكان المحليين على إشاعة الأخوة والتكافل بين السكان المسلمين فالتقت عام 1949هـ على تأسيس "الجمعية الإسلامية" ومن أفراد تلك الجمعية كان الشيخ محمد بن سالم البيهاني والشيخ علي محمد باحميش والشيخ علي بازعة¹).

البيهاني ومخالفوه:

اعترف أولاً بأني في هذه الفقرة وبالتحديد تعمدت عدم التفصيل أو الخوض في الجزئيات والأشخاص، وذلك لأن الخوض فيما ذكر لا يخدم مسيرة الدعوة ولا يساعد على صفاء النفوس، ولكن مع ذلك لم أستطع أن أتجاهلها كلياً، لأن هذه الحقبة كانت فترة صراع نفسي داخلي مرير في نفس الشيخ محمد بن سالم البيهاني، ويعبر عنها فيقول:

لا غرو أنني أحس بما يفت من الأمر في عضدي
وإن الخلاف الذي بيننا يوجب ناراً على كبدي
ومهما بكيت ومهما اشتكيت فلا شيء إلا من الحسد²

بل وهنا تكمن أكبر عقدة واجهها البيهاني في مسيرة دعوته الإصلاحية، ذلك أنه رحمه الله وكما أشرنا سابقاً كان يسعى لتوحيد كلمة المسلمين، وفي

¹ - جريدة (الأيام) العدد 362 بتاريخ 2002/7/28 م .

² (العطر اليماني من أشعار البيهاني) ، للشيخ محمد بن سالم البيهاني، ص 71 .

نفس الوقت كان لا يريد أن يرجع عن شيء رأى أنه الصواب ويقول بما لا يعتقده.

فهو يريد أن يجمع الكلمة وفي نفس الوقت لا يستطيع أن يداهن على حساب دينه، فقد كان رحمه الله أبعد الناس عن المداهنة.¹
لهذا ظل البيهاني في صراع بين ضدين، بين جمع الكلمة وإبقاء الصف وبين عدم السكوت فيما يكون الأصل فيه عدم السكوت.
وأشد في ذلك قائلًا:

إذا شئت إرضاء الأنام بأسرهم فكُن كافرًا بالله أو كن منافقًا
ولا تنكرن شيئاً على الناس واتخذن سبيلهم مستحسنًا وموافقًا
وإن شئت أن تحظى بكل غنيمة من العرض الفاني فلا تكُ صادقًا
وإن كنت ترجو الله جلّ جلاله فلا تخشهم ما دمت بالله واثقًا²

ومن قرأ لهذا الشيخ سيعرف مدى إنصافه وتواضعه ولطفه حتى وهو يعاتب، وفي معرض الرد على من يخالفونه فيما يذهب إليه من آراء الفقهاء.
يقول ما نصه:

(وما أقدم هذه الرسالة إلى الناس إلا مدافعاً غير مهاجم، ولا أدعي العصمة ولا أسيء الظن بكل ردي عليّ، فقد أكون مخطئاً وأحب الرجوع إلى الحق، كما أكون مصيباً ولا أحب أن أترك الصواب لقول إنسان مهما كان ذلك الإنسان).³
ولم يفتن مخالفو البيهاني إلى أن الخلاف بينهم هو خلاف تنوع في الجزئيات والفرعيات لتعدد الأدلة أو لعدم معرفة البعض بها أو للاختلاف في طريق الدليل من صحة وضعف، أو تباين في المفهوم في استنباط الأحكام الشرعية.

وذلك ينبغي أن لا يمنع من التقارب فيما يمكن الاتفاق عليه من مصالح الأمة وكما يقولون (إن اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية) وليس ذلك بالعيب، ولكن العيب كل العيب في التعصب للرأي والانتصار لنفس أو الحجر

¹ بمعنى التنازل عن الحق الذي يراه في سبيل إرضاء الآخر.

² - رباعيات البيهاني، للشيخ محمد بن سالم البيهاني، ص 67 .

³ - مقدمة كتاب (زوجة في قارورة). للشيخ محمد بن سالم البيهاني.

على عقول الآخرين، بل وقد يصل الأمر أحياناً عند من لا فقه لهم إلى تسفيه آراء الغير أو احتقارهم.

وما أحسن ما يقوله الإمام ابن تيمية في ذلك:

(إن مسائل الخلاف في الفرعيات لا يكاد يتفق عليها طائفة إذ لو كان كذلك لما تنازع في بعضها السلف الصالح من الصحابة والتابعين).¹
قلت:

فإذا كان الخلاف واقعاً بين من هم أعلم وأفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شهد لهم الرسول بالخيرية بقوله: (خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) فما بالك بمن بعدهم ولاسيما وقد بعدت الفترة وضعف اللسان العربي فتأمل في هذا حفظك الله.

ومن هنا نقول إن الشيخ البيهاني يرى أن من الواجب أن لا يتحول خلاف التنوع في الفروع إلى خلاف تضاد.

والفرق واضح بينهما، فإن خلاف التنوع للمصيب فيه أضرار وللمخطئ المجتهد أجر واحد.

ومع ذلك لم يقطع الشيخ البيهاني الأمل بل ظل وإلى آخر رمق من حياته يحاول ويشق الأنفس جمع الشتات، وإحياء الموات لتوحيد الكلمة، وتوجيه العتاب لمن باعد الشقة وقطع المودة، ولكن وكما قيل: (من عاتب الدهر طال عتابه) ومما ورد عنه في التعبير عن ما يعانیه من ذلك ما نصه:

أي شيء نراه داء عضالاً مثل ما في البلاد من أحزاب
نحن ما بين شافعي دعي وجاهل معاند وهابى
يزعم الكل أنه في طريق سار فيها الرسول بالأصحاب
فرقوا الدين ثم جاءوا بشيء ليس في سنة ولا في كتاب²

ما أحسن ما ذكره الأستاذ/ عبدالملك الشيباني في ذلك حيث قال:

لقد كان البيهاني آنذاك بين (سندان الجمود ومطرقة الجحود) وما أصاب الإسلام إنما جاء من طريق هذه الثنائية النكد (الجحود والجمود).³

¹ - (مجموع الفتاوى) ، للإمام ابن تيمية ، (ص 56 ج 6) .

² - رباعيات البيهاني، للشيخ محمد بن سالم البيهاني - ص 10 .

³ - معالم الإصلاح في حياة البيهاني . الأستاذ/ عبدالملك الشيباني - ص 40.

حالته الاجتماعية:

يقول الشيخ/ محمد عبدالرب جابر:

- لقد تزوج الشيخ البيهاني زوجته الأولى المتعلمة والصالحة في عدن من مدينة الشيخ عثمان. أما زوجته الثانية فكانت من بلاده بيحان. كذلك أثر عنه أنه أثناء إقامته في مصر للدراسة تزوج والله أعلم.
 - كذلك لم يرزق الشيخ البيهاني بأبناء منهما لا ذكور ولا إناث مع أنه كان يتمنى ذلك حتى قال في رباعيته تحت عنوان (طلب الولد).
ربّ إنّي ضعفت ضعفاً كثيراً وأتاني الذي أتى زكريا
شاب رأسي ودق عظمي فهب لي ولداً صالح يكون لي سريراً
يضع الأساس في التخوم ويعلو بالبناء المتين فوق الثريا
رب واجعله قدوة وإماماً راشداً في علومه ووليّاً¹
- ويلاحظ من هذه الأبيات أن الشيخ البيهاني لم يطلب الولد من أجل الولد ولا يستعين به على الشدائد والمحن. ولكن أراد ولداً صالحاً يعمله مما آتاه الله ليواصل المسير من بعده وليبني صرحاً شامخاً للإسلام.

بل يصرح بذلك في مكان آخر ويقول:

وكنّت أود أبناء ذكورا لأنعم بالبنين والبنات
وما حب البنين لأي شيء سوى ذكرى الفتى بعد الممات²

ثقافته:

أولاً: تلقى مبادئ علومه الشرعية ونحوها ومن أبيه العلامة الفلكي. ثانياً: درس نحو خمس سنوات في مدينة تريم حضرموت، وهناك ترقى في جميع العلوم الشرعية من فقه ونحو وأصول ومصطلح واللغة العربية بفروعها المختلفة وكذلك العقيدة.

¹ - كتاب (رباعيات البيهاني) للشيخ البيهاني ص 109 .

² كتاب (العطر اليماني) للشيخ البيهاني ص 40 .

ولكن يلاحظ أنه في فترة وجوده في تريم في مجال الفقه تتلمذ على مذهب الإمام الشافعي فقط.

كذا أخذ من حضرموت علم التصوف والزهد إضافة إلى علم المنطق. ثالثاً: عند انتقاله إلى عدن بدأ بدروس مدرسة فكرية تختلف نوعاً ما عن المدرسة الحضرمية، وذلك عن طريق ملازمة الشيخ / أحمد بن محمد العبادي المعروف بالتزامه الثابت بالرجوع إلى السنة في صغار الأمور وكبارها وكذا عرف بشدته في محاربة البدع أي كانت وممن كانت.

رابعاً: في الأزهر ارتبط بمشائخ من نوع آخر قد يكون أكثر مرونة وتنوعاً وتعرف إلى أشخاص كثيرين من إخوان مسلمين وقوميين وبعثيين وكذلك أدباء ومفكرين على جميع الأطياف.

وفي رأبي والله أعلم أن اختلاف المناهج والمدارس الفكرية خلقت من الشيخ البيهاني شخصاً آخر أخذ من كل منهج ما يراه مناسباً لدينه وواقعه ولم يتقيد حرفياً بمدرسة من كل تلك المدارس.

خامساً: إذا أضفنا إلى جانب ذلك تعرف الشيخ البيهاني ببعض أعلام السياسة من ثوريين وغيرهم أمثال أبي الأحرار محمد محمود الزبيري والنعمان. سادساً: إذا أضفنا إلى ما ذكر سعة اطلاع الشيخ البيهاني وحبه للقراءة وهمته في ذلك ما ساعده إلى حد كبير في تكوين شخصية مستقلة لا يمكن أن تنسب من حيث التبعية لهذا أو ذاك، بل سعة اطلاعه كانت تؤهله إلى حد كبير بأن يأخذ ما يراه موافقاً للكتاب والسنة على أي مذهب كان دون التقيد بمدرسة معينة.

بل نرى واضحاً من خلال قراءة كتابات الشيخ البيهاني أنه كان يذم التعصب والغلو وكان مع مخالفته في بعض الآراء لغيره يحترم قول المخالفين، فهو حقيقة لا شك فيها أنه في كل فتاواه كان يمثل تيار الاعتدال والوسطية، فلا إفراط ولا تفريط، ولا عتب ولا لوم لمن خالفه. ويلمح الشيخ البيهاني إلى مذهبه فيقول:

يا سائلي عن مذهبي وعقيدتي	وطريقتي قل لي: لماذا تسأل
أتريد مني أن أكون مقلداً	في الاعتقاد وما أقول وأفعل
أنا مسلمٌ ومسلمٌ لمحمد	ولما به جاء الكتاب المنزل

مالي وللقوم الذين تفرقوا فمشبهة ومعطل ومؤول¹

ومما يؤكد سعة اطلاع البيهاني ما ذكره الأخ شوقي بكير المدير التنفيذي ومدير المكتبة حيث قال ما نصه:

(وفي معهد البيهاني توجد مكتبة هي التي كان يقتني منها الشيخ البيهاني والشيخ باوزير، وفيها الكتب القيمة مثل أمهات الكتب ومصطلح الحديث والكتب السياسية، وتحتوي المكتبة على مراجع النحو والعديد من الكتب الأخرى التي تقدر بأكثر من (ثلاثة آلاف كتاب).

كما تحتوي المكتبة على العديد من الإصدارات الصحفية والتي كانت تتابع أخبار ورسالة المعهد والأنشطة المختلفة².

ويقول الشيخ/ عبدالله عبدالقادر ما ملخصه:

(عندما غادر البيهاني إلى تعز بعد استيلاء السلطة الحاكمة في جنوب اليمن على المعهد، تم تحويل المعهد إلى وزارة للداخلية، وأحرقت المكتبة الثمينة للشيخ البيهاني³ التي كان يبلغ تعداد كتبها كما أكد ذلك كثير من أقرباء الشيخ البيهاني نحواً من (خمسة آلاف كتاب)⁴.

مصادره:

- (1) أولاً وبلا شك كان مصدره الأول في كل ما يقول ويفعل القرآن الكريم والسنة النبوية.
- (2) ثم كان والده مصدراً ثانياً لعلومه الشرعية الأولية.
- (3) زين بن عابدين بن جنيد تلقى منه ألفية ابن مالك في اللغة العربية.
- (4) السيد عمر بن علوي الكاف تلقى منه علم الفرائض.
- (5) صالح بن عوض حداد تلقى منه علم النحو.
- (6) وكان الشيخ السيد أحمد بن عمر الشاطري أبرز مشائخ البيهاني وأخذ منه كثيراً من علوم الفقه والحديث والتفسير.

¹ كتاب (رباعيات البيهاني) للشيخ البيهاني ص 76 .

² جريدة أكتوبر بتاريخ 1998/2/26م.

³ وكان ذلك في سنة 1971م.

⁴ من كتاب (فيمن رحل من علماء بيهان) للشيخ عبد الله عبد القادر ص 86.

(7) ثم في عدن كان الشيخ أحمد بن محمد العبادي مصدراً مهماً في علومه الشرعية كذلك الشيخ السيد عبدالرحمن بن عبيد الله والسيد علوي بن محمد بن طاهر.

(8) وأخذ صحيح البخاري على يد الشيخ محمد علي الجفري وأخذ منه السند.

(9) كذلك كان الأزهر مصدراً إضافياً لثقافته وعلومه الشرعية.¹

ملاحظة:

ما ذكر هنا من مشائخ تلقى على أيديهم الشيخ البيهاني ثقافته وعلومه الشرعية ليس على سبيل الحصر بل قلة قليلة ممن ذكر البيهاني أنه أخذ عنهم بعض العلوم وأغفل الكثير ليس إلا راجياً عدم الإطالة.

مفاتيح من شخصية البيهاني:

مما لا شك فيه أن الشيخ البيهاني شخصية بارزة ليس على مستوى اليمن وحسب بل على مستوى الجزيرة والعالم الإسلامي، بل كان الممثل الرسمي لبلاده اليمن جنوباً وشمالاً في المؤتمرات الإسلامية التي كانت تنعقد في الجزيرة العربية لتدارس الوضع في البلاد العربية والإسلامية.

ولقد بلغت منزلة هذا الشيخ الجليل شرقاً وغرباً مما جعل عدداً من الجامعات الإسلامية في الهند وباكستان وغيره تسمية بعض الجامعات على اسمه رحمه الله دليلاً على تقدير المسلمين لمكانته العلمية.

ولو سأل سائل عن مفاتيح هذه الشخصية التي أهلتها بلوغ هذه المكانة فيمكن أن نوجزها على سبيل الإجمال لا الحصر في الآتي:

يقول الأستاذ/ عبدالملك الشيباني:

وهو أحد الطلاب الذين تتلمذوا على يد شيخنا البيهاني ما ملخصه في مفاتيح شخصية الشيخ البيهاني:-

- (1) فصاحته اللغوية والأدبية التي جعلت منه شاعراً مجيداً.
- (2) الذكاء الحاد والفهم السريع، والمقدرة الاستيعابية المدهشة.
- (3) علو همته - وضرب على ذلك أمثلة كثيرة ليس هنا مكان ذكرها-
- (4) اعتداده بنفسه وثقته بالله.

¹ من كتاب (زوبعة في قارورة) للشيخ محمد بن سالم البيهاني ص 5 .

- (5) ثقته الكبيرة بالإسلام عقيدة وشريعة.
- (6) مرونته في درء المفسد وجلب المصالح مع سعة اطلاعه.
- (7) عقليته المتفتحة الواعية.
- (8) وطنيته النابعة من إيمانه الصادق.
- (9) رقة مشاعره، ورهافة حسه، وبساطة معيشته، وتواضعه الجم ونظائرها من الأخلاق الكريمة.¹

قلت: وبالرغم من أنني لم أعاصر الشيخ البيهاني إلا أن حبي لهذا الشيخ دفعني لسؤال كل من عاصره من عامة وخاصة عن أخلاقياته.

فكان الجواب بالإجماع إقراراً لما ذكرهنا من أخلاقياته الراقية، فالكل يجمع بأن هذا الشيخ إذا دخل عليهم بقامته القصيرة وعصاه الغليظة وعمامته الأزهرية وعلى عينه نظارته السوداء يملأ المكان بالمهابة، لكنها مهابة شفافة رقيقة لا تثقل على أحد ولا تتوعد أحداً.

ويمكن أن أوجز قولهم وأقول:

كان الشيخ البيهاني قمة في التواضع والأخلاق من رآه بداية هابه ومن عاشره أحبه فهو محل إجماع بين قوميين وبعثيين وصوفيين وإخوان مسلمين فكانت عباءة الشيخ تتسع لهم جميعاً.

¹ كتاب (معالم الإصلاح في حياة البيهاني) لعبد الملك الشيباني ص 27 .